ومضات من قلب التغيير

المدن اليمنية تنهض من تحت الركام

الثورة

الاثنين ٦ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٤م العدد (١٤٥٥٨)

Mon. 20 Sep 2004 .. 6/8/1425 - No ، (14558)

كريتر .. الشيخ عثمان .. التواهي

.. ذاكرة أمكنة احتضنت الأحرار

وآوت المناضلين والهاربين من ظلم

الإمام ، تقاسمت معهم هموم

الوطن ومسحت دموعهم

وشدت أزر الجميع

فكانت الأرض الصلبة

للعبور إلى سبتمبر

١٩٦٢م

استطلاع / محمد السيد

عدن العبور إلى سبتمبر

عدن .. الشيخ عثمان .. التواهي .. المعلا .. محطات هامة في تاريخ الثورة اليمنية ٢٦ سبتمبر ٦٢م وذاكرة مكان عايشت وساهمت في صنع شمس الثورة وتقاسمت مع الأحرار هموم المناطق التي زرحت تحت نير الملكية ..

فلا يوجد مكان في هذه الاحياء إلا وله ذكرى مع مناضل قدم من صنعاء هرباً من ظلم الإمام فكانت قواعد للثوار الاحرار ومكاناً أميناً لاحتضانهم وانطلاقهم نحو الثوره في الساحة الأم ، كما كانت ملجأ لكل نازح وحضناً دافئاً لكل باحث عن فرصة عمل تسد رمق الحرمان .

واستطاعت منازل الشيخ عثمان والتواهي وكريتر ان تموه العيون عن الأحرار مفشلة اتفاقيات ومؤتمرات الإمام مع المستعمر في القبض على الاحرار وترحيلهم الى سجون الإمام !

في عدن قاهرة المستعمر نشأ حزب الأحرار وولدت الجمعية اليمنية الكبرى والإتحاد اليمني برزت (فتاة الجزيرة) (وصوت اليمن) و (الفضول)و التي اربكت نظام الامام وفضحته .

السطور القادمه تحاول الغوص في ذاكرة هذه الاماكن التي ساهمت يوماً ما في ابقاد شعلة الثورة فكانت محل الانظار ومحطة يقصدها صناع الأحداث ومحترفوا اللعبة السياسية ..

لا يزال حي الشيخ عثمان والتواهي والحي القديم عدن يتذكر (المقاهي) التي كانت تجمع ابناء الشطر الشمالي النازحين هرباً من بطش الإمام او من سوء وتردي المعيشة.

كما لا تزال ذكرى النوادي والجمعيات التي اسسها القادمون من الشطر الشمالي آنذاك لتسهيل استقبال الواصلين لإيوائهم وكذا المدارس التي انشأها الأحرار الوافدون من المناطق الشمالية بعد أن حرمهم الاستعمار البريطاني من التعليم في المدارس الحكومية ، لا تزال كل تلك الشواهد محفورة في ذاكرة الكثيرين رغم اختفاء معالم بعض الاماكن .

ذاكرة مكان

شكلت تلك النوادي مراكز نشاط اجتماعي وثقافي وتجمع اثناء تناول القات في فترة ما بعد الظهر .

فكان يدور النقاش حول مجمل القضايا التي تخص الوضع في مناطق الحكم الملكي حيث مثلت تلك التجمعات فرصة لتناقل الاخبار والأحداث وما يقوم به نظام الإمام .

وسهل انتشار النوادي للأستاذين النعمان والزبيري فرصة الإلتقاء بأكبر عدد ممكن من الساخطين على نظام الإمامة وفتح نادي الاتحاد الأغبري ونادي الاتحاد الذبحاني في التواهي ابوابهما لتوافد عشرات من الشباب يومياً للقاء بالأستاذين والإستماع الى محاضراتهما الهادفة الى التوعية وإثارة الحماس للعمل الوطني .

وتصدر الحاج محمد سلام حاجب الذبحاني ذلك العمل فجعل من منزله مكاناً للإجتماعات ولقيت افكارهما تجاوباً وحماساً واسعاً كما لم يكن النشاط مقتصراً على المحاضرات وبلورة مشروع الاحرار ، فقد امتد الى الإتصال بالمهاجرين في الخارج فتمت إتصالات مع الحورش والمسمري الموجودين في مصر ومع المهاجرين في الحبشة وشرق إفريقيا وجيبوتي والسودان .

بداية العمل

رغم إقامة الآلاف من ابناء مناطق الحكم الملكي في عدن إلا ان العمل السياسي لمعارضة النظام الإمامي لم يبدأ الا بعد وصول الاستاذين أحمد محمد نعمان والشاعر محمد محمود الزبيري اللذين وصلا الى عدن في يونيو عام ٤٤ م بشكل متخف وذلك بمساعدة جازم الحروي هرباً من بطش الأمير احمد بن الامام يحيى حاكم تعز ثم تلاهما الاستاذ إبراهيم الحضراني الى عدن كمعارض للإمامة ... فلم يكن النعمان والزبيري وحدهما اللذان وصلا الى عدن بدافع سياسي وليس لطلب العيش كما هو الحال بالنسبة للآلاف الذين فضلوا الإقامه في عدن لتوفر العمل ، فقد كان وصل الى عدن في ١٤ مايو من العام ١٩٤٤م بدافع سياسي الشيخ مطيع دماج مع صديقه المناضل عقيل عثمان فراراً من بطش الإمامه وتشير الكتابات التاريخية الى أنهما كانا من اوائل الأحرار الذين وصلوا الى عدن وتحديداً الى حافة حسين بكريتر حيث احتضنهم في بداية الأمر المجاهد الوطني الصحفي المرحوم محمد علي إبراهيم لقمان المحامي صاحب جريدة (فتاة الجزيرة) الذي منحهما مسكناً خاصاً وكانت صحيفته منبر الأحرار السياسي وكان الشيخ مطيع دماج قد جند نفسه في نشر المقالات والبيانات في صحيفة (فتاة الجزيرة) التي تأسست عام ١٩٤٠م والتي كانت تندد بالإمام ونظامه الفردي والإستبدادي وبطش وجبروت ابنائه وتكشف الألم والظلم وجور الضرائب المفروضة على المواطنين ،

ولحق بالثنائي الحر الزبيري والنعمان اللذين وصلا عدن في ٤ يونيو ٤٤م بعد عدة ايام كل من زيد بن علي الموشكي والشاعر احمد محمد الشامي الذي كان يتولى وظيفة حاكم مقام تعز نزل الزبيري والنعمان اول الأمر في حي الشيخ عثمان بعدن .. وهو حي مفتوح ومحطة استقبال لجميع الخطوط البرية القادمة الى عدن .. وهو الان من اوسع الأحياء بعدن ويمتاز بأحيائه الشعبية المأهولة والاسعار المناسبة لمختلف الحاجيات مقارنة بكريتر أو التواهي وخور مكسر. وقد نزلوا جميعاً في دار الشيخ المجاهد عبدالله علي الحكيمي حيث كانوا يترددون على موقعين في الشيخ عثمان لا يبعدان كثيراً عن دار الحكيمي ، الاول امام جسر السيلة الصغيرة على طريق دار سعد حلت مكانه عمارة سكنية تجارية فيما كان يسمى المكان الآخر بستان عثمان .. ما يزال قائماً .. وفي هذين الموقعين كانت تعقد اللقاءات وتدار الاحاديث والنقاشات المتعلقة بهموم الحكم الامامي.

تواصل النزوح

والسكن الذي منحه الشيخ المجاهد عبدالله الحكيمي للثنائي الحر الزبيري والنعمان في الشيخ عثمان مكون من ثلاثة طوابق ولا يزال الى اليوم بحالة جيدة ومعروضاً للبيع وفيما بعد رأى الحكيمي من قبيل الحيطة والحذر ضرورة انتقال الاحرار الى الحي القديم بكريتر حيث يكونون قريبين من جريدة فتاة الجزيرة وصاحبها لقمان وبعض من سبق من الاحرار والمتعاطفين والمتحمسين من التجار انصار القضية اليمنية بالإضافة الى ان المنطقة كانت تتمتع بالأمان والهدوء .

وتواصل بعد ذلك توارد ونزوح الأحرار من شمال الوطن والوصول الى عدن واللحاق بإخوانهم والتجمع من أجل القضية فمن بين من لحق بهم الشيخ عبدالله حسن ابو راس والشيخ محمد ناجي القوسي والشيخ محمد صالح حميره والنقيب محمد ابو فارعه والشيخ محمد عبدالوهاب نعمان وعبدالله عبدالوهاب نعمان وأمين أحمد عثمان وغيرهم .

وهنا كان لابد لمدينة (التواهي) ان تدخل هي الأخرى في خط احتضان الأحرار ، حيث لم يجد النعمان والزبيري مكاناً في الحي التجاري بعدن (كريتر) يتسع لجميع الاحرار الذين بدأوا بالتوارد فما كان من الشيخ المرحوم الوطني عبده اسماعيل جاوي ، من ابناء عدن ، إلا أن منح الأحرار مقراً وسكناً في التواهي في سبتمبر ١٩٤٤م بدورنا ذهبنا الى التواهي وانتقلنا بين اكثر من مكان وسألنا عن دار الجاوي وبعد ان كادت تتقطع بنا السبل وجدنا من يقول لنا (دار الجاوي امام محطة الباصات).. وفعلاً شاهدنا المقر الأول الذي نزل فيه الأحرار وهو لا يزال بحالة جيدة ..

وفي هذا المبنى حل دمـاج والموشكي والشامي وبعض المشائخ من الإحرار كالقوسي وابي رأس وآخرين إلا انه لم يتح المكان بساكنيه الاحرار من مضايقات عملاء الانجليز والإمام .

مولد حزب الإحرار

كان لتوافد الأحرار والنشر في جريدة فتاة الجزيرة اثر كبير بين الناس في عدن مما دفع الإنجليز الى الإشتراط على الأحرار بعدم الاشتغال بالسياسة والبقاء كلاجئين سياسيين فقط .. وقام حاكم عدن باستدعاء لقمان المحامي وسأله إن كان سيضمن الأحرار من ناحية الإستقامة والحالة المالية فضمنهم لقمان الذي قدم كل الدعم للأحرار لتستمر الإجتماعات بعد ذلك بالسر .

وانعقدت جلسة اول مؤتمر تمخض عنه ميلاد حزب الأحرار في عام ١٩٤٥م بالتواهي بمنزل الفقيد المناضل محمد سلام حاجب الذبحاني الذي قدم كل الدعم للثوره (رحمة الله) وقد اعتبر لقمان المحامي المنزل – الذي لا يزال قائماً الى اليوم – أهم معلم تاريخي معاصر في تاريخ الحركة الوطنية اليمنية حيث ولد فيه اول حزب للاحرار وهكذا تأسس اول حزب سياسي برئاسة احمد محمد نعمان وتولى القاضي محمد محمود الزبيري الامانة العامة للحزب .

ونشرت صحيفة (فتاة الجزيره) التي دأبت على نشر موضوعات الاحرار وتغطية نشاطهم نبأ إعلان قيام (حزب الأحرار) ووصفت ذلك النبأ بالقول لقيت هذه الخطوة ترحيباً وحماساً وتأييداً من المستنيرين اليمنيين من ابناء الشمال والجنوب على حد سواء .

مطالبات الوطنيين

يقول الاستاذ/ سعيد الجناحي كان اول نشاط مارسته قيادة حزب الأحرار كتابه رسالة الى الإمام يحيى تضمنت أحد عشر مطلباً لمعالجة الأوضاع والمظالم التي يعاني منها الشعب .

وقد لخص الحزب مطالب الاحرار في دعوة الإمام يحيى الى إنقاذ الأمة من المجاعة المهلكة التي لجأت الى قطع المسافات تبحث عن الشجر وتموت في سبيل طلبه والسماح للأمة ببث شكواها والجدال عن نفسها وتمكين الأفراد من الدفاع عن أنفسهم امام الحكم الامامي وافراد الاسرة الحاكمة بدلاً من ان يساقوا الى السجون بدون محاكمة او سؤال :

طالبوا ايضاً بحرية التعبير والقول والتفكير والوعظ بالإضافة الى إعفاء الأمة الفقيرة من الضرائب التي لاحد لها ولا تقدير عادل عاماً او عامين بل مدة فقر الأمة التي لم تعد قادرة على العمل والكسب فهي في أشد الفاقة ومنتهى المجاعة .

كما طالب الاحرار بإزالة الجفاء الواقع بين العسكر والرعيه وذلك بإلغاء (التنفيذ) وتهدئة روع الضعفاء من سيطرة الجند وقبول أمانه الناس في جميع انواع الزكاة والتورع عن إنزال العقوبات بالناس بدون محاكمة .

ودعا البيان الى إلغاء الضريبة الجائرة التي فرضت للجنود على الفلاحين المساكين والنظر في قضية الأوقاف وحل مشكلتها .

وتسلم الإمام يحيى رسالة حزب الاحرار ثم وجه رساله دعا فيها القاضي محمد محمود الزبيري والأستاذ زيد الموشكي بالعودة الى صنعاء لمناقشة الموضوع وهو ما قوبل برفض قيادة حزب الاحرار للمطلب المراوغ الذي أنكر جميع تلك المطالب.

ازدياد المؤيدين

● وفي الوقت الذي نزل فيه نبأ تشكيل حزب الأحرار في عدن نزول الصاعقة على الإمام يحيى ورجال نظامه الذين راحوا يحتجون لدى السلطات البريطانية المحتلة لسماحها بمزاولة نشاط عدائي ضد نظامهم إستقبلت عدن الخبر بسرور كبير كما ازداد عدد مؤيدي وأنصار الأحرار من ابناء عدن امثال آل لقمان وآل خليفة ويقول المناضل الشيخ عبده حسين الإدهل (مواليد الشيخ عثمان) الذي ساهم بدور طيب في ثورة ١٩٤٨ م عضو لجنة المراسلات السرية بين الزبيري والأحرار في الداخل لقد استقبل ابناء عدن اهلهم واشقاءهم من النازحين واكرموا مثواهم والتفوا حولهم وفي مقدمتهم شهداء الحق والعقيدة ابو الأحرار المرحوم/ محمد محمود الزبيري وعبدالله ابن علي الوزير اللذان نزلا ضيفين على الفقيد المناضل/ محمد سلام صاحب الذبحاني كما نزل ضيفاً علىً وفي منزلي المرحوم المناضل / الفضيل الورتلاني في الشيخ عثمان مع عدد من الاحرار الذين وفدوا الى عدن .

وعندما تشكل حزب الاحرار لقي كل الدعم والمساندة من ابناء عدن حيث كان الحزب اول تنظيم في النضال الشعبي المنظم إلا ان السلطات الاستعمارية في عدن عارضت هذه التسمية لأنها لم تكن يومذاك قد سمحت بقيام احزاب في عدن وقد حول اسم الحزب بعد ذلك من (حزب اليمن الاحرار) الى اسم (الجمعية اليمنية الكبرى) بالتعاون مع إخوانهم في عدن الذين كانوا متعاطفين مع القضية اليمنية وقد رأى الاستاذ القاضي الزبيري ان لا يقتصر الحزب على ابناء الشمال فقط فقضية اليمن واحدة ففتح المجال لأبناء الجنوب بالمشاركة على أمل التحرر من الرجعية المتوكلية والإستعمار البريطاني فاشتركت عناصر كثيرة من أبناء المناطق الجنوبية في نشاط الاحرار بما في ذلك (آل لقمان) الذين تاثروا بالزبيري وصارت صحفهم تتحدث عن التخلص من الإستبداد الملكي والاستعمار البريطاني وكان من ابناء المناطق الجنوبية الذين تعاونوا مع الأحرار اسرة آل الأدهل وآل الجفري وآل خليفه) وآخرون تأثروا بحركة الأحرار .

ويضيف الأدهل لقد كانت أهداف هذه الجمعية مطالبة الإمام يحيى إمام اليمن يومذاك بإدخال إصلاحات دستورية على حكم البلاد ، تمثلت في تأسيس حكومة دستورية برلمانية والدعوة الى الغاء التنفيذ وحرية القول والعمل والاهتمام بالصحة وبناء المستشفيات ورفع منار الجيش اليمني وزيادة مقدراته ومنع العمال ورجال الحكومة من الإشتغال بالتجارة .

أحداث هامة

● شهد عام ١٩٤٦م العديد من الأحداث الهامة ففي ٤ يناير تولد الجمعية اليمنية الكبرى بموجب فتوى قانونية اخرجها لقمان لتمرير ميلاد هذه الجمعية بدلاً من الحزب وينضم لعضويتها ابرز اسماء ابناء عدن المعروفين ثم يقوم محفوظ مكاوي إبن عدن بتقديم دار كاملة مكونة من ثلاثه طوابق كمقر للجمعية اليمنية الكبرى حيث خصص الطابق الأرضي مكاتب واماكن لتدريس الشباب وإدارة الجريدة الجديدة (صوت اليمن) وللقاءات والاجتماعات فيما خصص الطابق الثاني والثالث سكناً لأعضاء الجمعية .

وفي ٢٢ فبراير ١٩٤٦م يقرر السيف إبراهيم بن يحيى الإنضمام الى الأحرار حيث وصل الى عدن يرافقه أحمد البراق وأعلن انضمامه الى عضوية (الجمعية اليمنية الكبرى) واستقبل الامير إبراهيم الذي تمرد على نظام أبيه استقبالاً حاشداً وفتحت صحيفة (صوت اليمن) الناطقة باسم الجمعية – صفحاتها للرسائل التي كان يوجهها وينشرها الامير إبراهيم الى ابيه وإخوته الى الشخصيات والحكام العرب وجعل منه الاحرار رمزاً لحركتهم مما اوجد تحولاً كبيراً في حركة المعارضة أكان في اليمن او في الوطن العربي.

عدن مرة أخرى

● مرة اخرى بدأت الانظار تتجه صوب عدن من جديد ، فقد شعرت سلطة الإمام ان نشاط الاحرار لن يتوقف وان اعتقادها ذهب هباءً حيث ظنت انها نجحت في إيقافه من خلال شق صف الاحرار وإرهاب البعض

منازل الشيخ عثمان آوت المناضلين.. ونوادي التواهي استقبلت الشباب.. والمعلا فتحت المراكز للمتطوعين

■ المنزل الذي نزل فيه الإمام أحمد بالتواهي للضغط على الأحرار

■ النادي الذبحاني والنادي العريقي.. احتضنا أبناء الشمال النازحين من ظلم الإمام